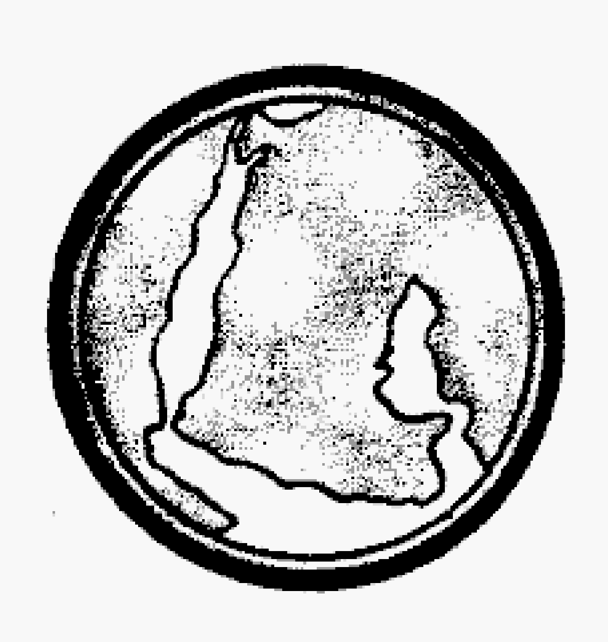
16

مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية



العدد السادس عشر
السنة الرابعة

تشرين اول اكتوبر ١٩٧٨م
ذو القعدة ١٣٩٨هـ

سياسة بريطانيا في الخليج والكويت في القرن التاسع عشر
د. جاكلين اسماعيل

مستوى المعيشة للأسر في دولة البحرين
بدوي خليل مصطفى

انطباعات عامة حول علم الاجتماع في العراق ما بين ١٩٥٠ - ١٩٧٠
د. اياد القزاز

التدخل الأجنبي في اليمن في نهاية عهد حضارته القديمة وموقف الشعب اليمني إزاءه
د. فاروق عثمان اباظه

تجربة مسرح الخليج العربي في الكويت (دراسة مرحلية)
احمد ابو مطر

سياسة ايران الخارجية
مراجعة: د. عدنان البكري

التدخل الاجنبي في اليمن في نهاية عهد حضارته القديمة وموقف الشعب اليمني إزاءه

د. فاروق عثمان اباظه *

يعتبر هذا الموضوع من الموضوعات التي يكتنفها كثير من الغموض في تاريخ اليمن القديم ، نظرا لعدم توفر غالبية المصادر التاريخية الاصلية التي يمكننا من خلال دراستها تقصي الحقائق حول هذا الموضوع الهام . ولكننا نستعين في هذا الصدد ببعض النقوش القديمة التي تمت ترجمتها ، وبعض الكتابات الكلاسيكية اليونانية والرومانية ، اضافة الى بعض المخطوطات التي كتبها الاخباريون العرب والمؤرخون اليمنيون في صدر الاسلام ، فضلا عن مجموعة من الدراسات التحليلية التي أجراها بعض الباحثين حول هذا الموضوع .

ويمكن القول بأنه من الثابت لدينا أن اليمن قد تعرض لتدخلات اجنبية متعاقبة في نهاية عهد حضارته القديمة ، وبخاصة في القرنين السادس والسابع الميلاديين نتيجة لتطلع القوى الكبرى المعاصرة من جهة ، والدول التي تسير في ركابها من جهة اخرى ، للسيطرة على اليمن والاستحواذ على ثرواته . تلك الثروات الناتجة عن الزراعة المزدهرة والتجارة الرائجة ، والمعادن المختزنة في

---

* يعمل مدرسا للتاريخ الحديث بكلية الاداب جامعة الاسكندرية . سبق وأن عمل محاضرا بكلية التربية العليا بجامعة عدن ثم خبيراً للتراث بالمركز اليمني للابحاث الثقافية بعدن .
- عضو بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية .
- حصل على درجة الدكتوراة في التاريخ من كلية الاداب بالاسكندرية .

من مؤلفاته :

- **الحكم العثماني في اليمن ١٨٧٢ ــ ١٩١٨ .**
  الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٥ .
- **عدن والسياسة البريطانية في البحر الاحمر ١٨٣٩ ــ ١٩١٨ .**
  الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٦ .

ارضه ، والموقع الممتاز الذي يتوسط طريق التجارة العالمية بين الشرق والغرب .

وقد حدثت هذه التدخلات الاجنبية في فترات مني فيها اليمن بحالة من الضعف والتفكك في نهاية عهد حضارته القديمة ، بلغت ذروتها في أوائل القرن السادس الميلادي . ومن المرجح أن تلك الحالة ترجع الى ان الاقلية الحاكمة التي كانت توجه المجتمع اليمني حينذاك قد تحولت الى سلطة تعسفية ، وذلك بعد أن تفسخت الاوضاع القائمة في اليمن. وقد حدث ذلك بعد ان بدا العمل، يقل تدريجيا، بنظام الاستشارة الذي شاع في نظام القبيلة ، والذي كان يعتبر امتدادا « للديمقراطية البدائية » ، حتى كاد يختفي تماما في القرن الثالث الميلادي . ويرجح ايضا أن الاغلبية العاملة من الشعب اليمني ، والممثلة في القبائل اليمنية ، قد تخلت عن موالاة الاقلية الحاكمة التي بدات تخفي فشلها باستخدام الاساليب التعسفية ضد الاغلبية المحكومة ، مما احدث انقساما خطيرا داخل المجتمع اليمني .

وقد أدى هذا الانقسام بين صفوف اليمنيين الى اتاحة الفرصة أمام القوى الطامعة لبدء تدخلاتها المتعاقبة في بلاد اليمن . واستترت هذه القوى وراء الديانتين الجديدتين اللتين وصلتا الى اليمن عبر المسالك التجارية البرية والبحرية من الشمال والغرب على وجه الخصوص ، وتمثلتا في اليهودية والمسيحية . وقد حاولت السلطة الممثلة للاقلية المسيطرة على اليمن أن تخفي فشلها السياسي بفرض الديانة اليهودية بعد أن بذلت محاولات عقيمة للتوفيق بين معتنقي الديانتين حتى تخفي سلبيات نظامها المنهار . وادى ذلك الى تقسيم اليمنيين الى فريقين متناحرين يتقاتلان من اجل نصرة احدى هاتين الديانتين على الاخرى ، وخاصة بعد أن تعرضت العقائد الوثنية القديمة لدى الجماهير اليمنية لضربات عنيفة نتيجة لتلطخ قيمها السابقة وسمعتها التي أفل نجمها . وقد عانى اليمنيون نتيجة لذلك معاناة شديدة من الضياع الفكري حينذاك . واعترى ثقافتهم القديمة فتور زائد بعد أن شاخت تلك الثقافة ، ولم يعد بمقدورها مواكبة الحياة الجديدة بشكل متكامل والاستجابة لمطالبها .

واذا كان اليمنيون قد تمكنوا من صد الغزو الروماني وابعاده عن بلادهم عام ٢٤ ق.م. فان ذلك قد حدث قبل تفسخ الاوضاع القديمة في البلاد ، حيث كانت اليمن تتميز بوجود حكومات لاقاليم ومدن يحكمها ملوك اقوياء . ونظرا لعدم وجود صدى معين لهذا الحادث الخطير في النقوش اليمنية المعروفة حتى الان (١) ، فان المصدر الوحيد الذي نستقي منه معلوماتنا عن هذه الغزوة هو الكتابات الكلاسيكية وخاصة ما كتبه « Strabo » (٢) معاصر وصديق القائد الروماني « اليوس جالوس Aelius Gallus » ثاني ولاة مصر (٢٦ — ٢٤ ق.م) (٣)

في عهد الامبراطور الروماني « اوجسطس » والذي قاد حملة الرومان لغزو بلاد العرب السعيدة "Arabia Eudaemon" كما كان يسميها « بطليموس » . وكان الرومان يهدفون من حملتهم تلك ، على نحو ما يشير « سترابو » ، محاولة احتلال بلاد العرب التي اشتهر اهلها بالغنى ، والعمل على اكتساب صداقتهم ، تلك الصداقة التي كانت لا تعني سوى التبعية للرومان بطبيعة الحال .

وقد اعتمد الرومان في غزوهم للجزيرة العربية على حلفائهم النبط ، حيث كان دليلهم ومستشارهم الوزير النبطي « سيلاس » على راس الف من الانباط اشتركوا في الحملة الرومانية . اما الحملة الرومانية نفسها فكان قوامها عشرة الاف جندي يمثلون فرقة رومانية . تحركت على ظهر اسطول مكون من ثمانين سفينة ومائة وثلاثين حاملة للجنود من ميناء « كليوباتريس » (ارسينوي) — القريب من السويس — في عام ٢٥ قبل الميلاد ، متجهة الى ميناء « لايكه كومه Leuke Kome » (٤) النبطي (الحوراء) — في الحجاز — فوصلوا اليه بعد ان غرقت بعض سفنهم بمن فيها من جنود وعتاد ، نظرا لسوء اختيارهم لنوعية السفن مما يظهر جهلهم بطبيعة البحر الاحمر . ولهذا كان انضمام الانباط للحملة الرومانية في « لايكه كومه » دعما وتعزيزا لقوة الرومان .

وبعد أن استراح جنود الحملة من عناء رحلتهم في « لايكه كومه » تحركوا صوب الجنوب . فكانت اول المدن اليمنية التي تعرضت لهجومهم مدينة « نجرانا Negrana » — ويرجح انها « نجران » — التي هرب ملكها . ثم اتجهوا الى « اسكا Asca » — ويرجح انها « نشق » — التي سلمها ملكها للرومان دون مقاومة . على انه في الطريق بين « نجران » و « نشق » حدثت معركة عند نهر قتل فيها — كما يزعم « سترابو » عشرة الاف من العرب في مقابل رجلين من الرومان . ولا شك أن في ذلك مبالغة مكشوفة وساذجة في نفس الوقت، وان كان « سترابو » قد برر انتصار الرومان — المبالغ فيه — بتفوقهم في اساليب الحرب وعدد القتال .

واعقب هذه المعركة سقوط « اثرولا Athrula » في أيدي الرومان — ويرجح أنها « يثل » — وقد سلمت دون مقاومة ، فوضع « جالوس » فيها حامية رومانية واخذ يجمع من سكانها الحبوب والتمر لتغذية جنوده . وهكذا تصبح الطريق الى « ماريابا Mariaba » (٥) — التي يرجح الدارسون انها « مأرب » (٦) — سهلة وميسرة . غير أن المدينة نفسها كانت قوية التحصين مما اضطر الرومان الى محاصرتها فترة بلغت ستة أيام ، ثم نكصوا عنها بسبب قلة المياه العذبة . واخيرا قرر « ايليوس جالوس » العودة الى بلاده بمن بقي من

رجاله، بالرغم من أنه علم من الاسرى العرب انه كان على بعد مسيرة يومين من أرض البخور — ويرجح انها حضرموت بجنوبي اليمن . وقد استغرقت رحلة ذهاب الرومان من « لايكه كومه » الى « ماريابا » ستة اشهر ، لان الوزير النبطي « سيلاس » لم يحسن ارشادهم ، بينما استغرقت رحلة العودة الى ميناء « نجران » — التي يعتقد انها « ينبع » — ستين يوما فقط ، مما عرض الوزير النبطي لعقوبة الاعدام لخيانته المزعومة التي يؤكدها « سترابو » دون أن يقنعنا بما يدعم ذلك الزعم .

ويستلفت نظرنا في وصف تلك الحملة من الناحية التاريخية على نحو ما أورده « سترابو » وصفه لمدينة « ماريابا » بأنها مدينة « الرامايتني » التابعين « لايلازاروس llassarus » . وهذا الاسم يرجح انه يقابل في العربية « الشرح » وهو ما ذهب اليه « جام Jamme » وبنى عليه تاريخ عهد « الشرح يحضب » ملك « سبأ وذوريدان » (٧) . ولكن اذا كان « جالوس » قد بلغ « مأرب » حقا ، فلماذا قامر بالانسحاب الكلي ، في وقت بدت فيه اليمن اقل تماسكا عما كانت عليه من قبل ، وان كانت المعركة التي حدثت فيما بين « نجران » و « نشق » تدل على تجمع يمني كبير ضد الغزو الروماني لان عدد القتلى العرب كما يقول « سترابو » بلغوا عشرة الاف رجل ، وان كنا نشك في صحة هذا الزعم . واذا تساءلنا الى اي مملكة كان هؤلاء العرب ينتمون ، ومن كان يقود حركة المقاومة تلك ، وهل حاول « السبئيون » التصدي للرومان حينذاك قبل بلوغهم « مأرب » حتى اذا عجزوا عن ذلك فروا عائدين الى عاصمتهم « السبئية » ليجتمعوا فيها ويدافعوا عنها . فاذا كان ذلك قد حدث فلماذا لم يسجلوه على نقش من النقوش الكثيرة التي كشف عنها في معبد « المقه » — المعروف بحرم بلقيس في «مأرب» .

وعلى اية حال فان ما يمكن قبوله من اقوال « سترابو » ، الذي بدا انحيازه واضحا للدفاع عن صديقه قائد الحملة وعن سمعة امبراطوريته ، هو أن الرومان حاولوا في حوالي عام ٢٤ قبل الميلاد غزو « بلاد العرب السعيدة » ، ولكن قائدهم « اليوس جالوس » لم يحسن الاعداد لحملته تلك ففشلت منذ وصولها الى « لايكه كومه » على ساحل الجزيرة العربية الغربي ، وان اليمنيين استبسلوا في الدفاع عن مدينتهم « ماريابا » ، بتجمع يمني كبير (٨) ينم عن ان بلادهم لم تكن قد بلغت بعد ذروة التفكك ، الذي سيظهر بشكل ملحوظ في أوائل القرن السادس الميلادي ، على نحو ما سوف نشير اليه فيما بعد .

وجدير بالذكر أن « سترابو » أشار نقلا عن « ايراتوستينيس » (٢٧٦ — ١٩٤ ق.م) الى ان « ارض الطيب والبخور » ويقصد بها اليمن تتألف من

اربعة اقسام :

أولا : "Minaei" اي « المعينيـون » وعاصمتهم « قرنـاو » أو « قرنو » .

ثانيا : "Sabaei" أي « السبئيون » "Mariaba" اي « مأرب » .

ثالثا : "Chattabnae" اي « القتبانيون » وعاصمتهم "Tamna" أي « تمنع » وتقع بلادهم على ساحل البحر الغربي .

رابعا : "Chatramotita" وهم الحضارم أهل حضرموت وعاصمتهم "Sabata" اي « شبوه » وهم أبعد هذه القبائل اليمنية الى الشرق .

كما اشار « سترابو » بايجاز الى الناحية الاجتماعية التي كانت عليها اليمن في نهاية القرن الاول قبل الميلاد . فذكر أن المجتمع كان مقسما الى طبقات ، لكل طبقة واجب ووظيفة وراثية تنتقل من الاباء الى الابناء . فهناك طبقة المحاربين ووظيفتهم الدفاع عن الطبقات الاخرى . وطبقة المزارعين وشغلتهم تهيئة القوت والطعام لاعاشة سائر الشعب . وطبقة ثالثة وظيفتها التجارة التي لم تكن تنتقل من اسرة الى أسرة ، بل كان على كل فرد أن يمارس حرفة ابيه (٩) .

على ان فشل حملة « ايليوس جالوس » لم تؤثر في خطة الامبراطور « اجسطس » في السيطرة على البحار الجنوبية . فقد اشار « سترابو » الى ان الرومان ارسلوا سفنا الى الهند ، كما عثر على نقود رومانية في شبه القارة الهندية تؤكد وصول الرومان اليها حينذاك ، أو الى مقربة منها على أقل تقدير . هذا على الرغم من عدم وصول اخبار مفصلة الينا عن مشروعات الرومان في جزيرة العرب بعد حملة « ايليوس جالوس » المشار اليها . ويرجح أنهم غيروا خططهم بعد فشل تلك الحملة ، فلم يفكروا في فتح عسكري مباشر لجزيرة العرب يكون متجها من الشمال الى الجنوب مخترقا الطرق البرية الصعبة عبر الفيافي والقفار . بل انهم راوا من الافضل اتباع السبل التالية :

١ ــ تقوية اسطولهم الروماني في البحر الاحمر .

٢ ــ تحسين علاقاتهم السياسية بالامارات القائمة في جنوب الجزيرة العربية للمحافظة على مصالحهم الاقتصادية كلما امكن ذلك .

٣ ــ توجيه انظارهم نحو الساحل الشرقي لافريقيا عامة ، وساحل الحبشة على وجه الخصوص ، فعقدوا اتفاقيات صداقة مع حكام مملكة « اكسوم » وكونوا حلفا معهم .

٤ ــ اخذوا يضغطون منذ ذلك العهد على السبئيين في اليمن حتى يستجيبون لتحقيق ما يتفق والمصالح الرومانية .

٥ ــ نجحوا في عقد معاهدة تحالف مع ملك « ظفار Saphar » وهو ملك « الحميريين Homeritae » كما ورد في كتاب « الطواف حول البحر

الاريتري » (١٠) .

وهكذا حرص الرومان على مد نفوذهم السياسي والاقتصادي المستند الى النشاط البحري للاسطول الروماني في البحر الاحمر لدعم علاقاتهم بامارات جنوبي الجزيرة العربية مما سيتيح الفرص المناسبة لتدخل الرومان ثم البيزنطيين في الشؤون اليمنية بأسلوب جديد .

اما بالنسبة للدور الذي لعبه الرومان في عدن ، فيحدثنا مؤلف كتاب « الطواف حول البحر الاريتري » بأن « القيصر Kaisar » استولى عليها في زمن غير بعيد عن العصر الذي عاش فيه . وذهب بعض الباحثين الى أنه كان لمساعدات اهل « اكسوم » الاحباش فضل في احتلال الرومان لميناء عدن عن طريق البحر ، نظرا لان طريق البركان ، الذي يخترق المنطقة المحيطة بعدن من ناحية البر ، كان في ايدي السبئيين والقبائل العربية الاخرى . وفيما يتعلق « بالقيصر » المقصود فقد ذهب بعض الباحثين الى انه كان « كراكلا Caracalla » لانه كان قد هاجم العرب سكان الخيام "Scenitae" في أثناء الحرب الثانية التي شنها « سبتميوس سفيروس » على « البارثيين » بين عامي ١٩٧ و ١٩٩ ميلادية . وان كان بعض الباحثين يرون غير هذا الراي ويرجحون بأن المقصود من كلمة « قيصر » هو « الاشعر Il-Aisar » نسبة الى « الاشعريين » الذين كانت أرضهم غير بعيدة عن عدن . وقد ذهب فريق ثالث الى ان لفظة « قيصر Kaisar » انما هي كلمة « الاشعر Ilisaro, Ilasar » التي جاء ذكرها في حملة « ايليوس جالوس » وقصد بها « اليشرح يحضب » . ويرى هذا الفريق أن ميناء عدن تعرض للتخريب ابان حروب « اليشرح يحضب » مع « قتبان » و « حضرموت » .

وبعد أن احتل الرومان عدن تمكنوا من التوجه منها الى الهند والى السواحل الشرقية لافريقيا . ووضع الرومان في عدن حامية عسكرية لضمان سلامتهم ، كما ابقوا في مينائها سفنا تحمل رماة من الجنود الرومان لمقاومة القراصنة . ورغم عدم معرفتنا لموعد جلاء الرومان عن ميناء عدن ، فانه من الثابت لدينا انهم كانوا يقيمون لهذا الميناء الهام وزنا كبيرا حتى انه عرف « بمستودع الرومان Romanium Emporium » (١١) نظرا لاهميته الاقتصادية ، مما يؤكد أن الرومان لم يتركوا هذا الميناء الا عندما اضطروا الى ذلك . وقد أقامت في عدن اثناء تبعيتها للرومان جالية رومانية كبيرة من اصحاب السفن والمشتغلين بالتجارة .

ومنذ قيام الامبراطور « تراجان » بانشاء ما يسمى « بالولاية العربية Provincia Arabia » على حطام « مملكة النبط » في عام ١٠٥ ميلادية ، فقد احدث تغييرات هامة في الادارة وطرق المواصلات واصول الجباية . اذ انشأ

طريقا مهمة من « ايلــه » على راس خليج العقبــة مارا « بالبتــراء » ثم ببلدة « بصرى Bostra » ، فدمشق ، وصارت « بصرى » محطة هامة للقوافــل القادمة من الحجاز واليمن .

واخر ما يقال عن تدخل الرومان في شؤون جزيرة العرب عامة ، واليمن على وجه الخصوص ، هو أن القيصر « سبتميوس سفيروس » أرسل حملة عسكرية في عام ٢٠١ ميلادية توغلت في « العربية السعيدة » . غير أن معارفنا عن هذه الحملة محدودة ، ويرجح أنها تقدمت من « الولاية العربية » التي انشأها «تراجان» واتجهت الى اليمن . كما يرجح ان الذي قادها الى « العربية السعيدة » هو ابن « سبتميوس سفيروس » ويدعى « كاركالا » . وقد زحف بقواته الرومانية على أراضي العرب الساكنين في أعالي « العربية السعيدة » ويرجح كذلك أن تلــك الحملة وصلت الى « ديار ثمود » (١٢) .

وجدير بالذكر أن الرومان شكلوا كتائب من الجنود العرب لحماية الطرق في الجزيرة العربية ولحراسة حدودهم الطويلة ، مفضلين بذلك الاعتماد على الجنود العرب المحليين في تحقيق تلك المهمة . وتشير بعض الكتابات الصفوية "Safitic" التي دونها أصحابها واشاروا فيها الى فرحهم وحمدهم لالهتهم ، لانهــا ساعدتهم في فرارهم من الخدمة في الجيش الروماني ورجوعهم الى أهلهم سالمين ، بعد أن قتل غيرهم أثناء فرارهم بأيدي من كانوا يتبعونهم من الرومان أو البيزنطيين . وذكرت أسماء كثير منهم في تلك الكتابات مثل « حنــين بن حنــين بن أيــاس » و « مغير بن محلم » و « تيم ايل » و « سواد بن يسلم » .

ولا شك ان هذه الاحداث والتطورات السياسية والعسكرية التي وجهت انظار الغرب منذ ايام الاسكندر الاكبر نحو الشرق ، أدت الى نزول اليونان ثــم الرومان بأنفسهم الى البحار الشرقية الدافئة ، لمنافسة العرب في تجارتهم وفــي البحار الاخرى القريبة من بلادهم . فبنوا سفنا اقوى واسرع ، واخذوا بالتدريج يحتلون الموانيء الهامة ، ويقيمون لهم قواعد عسكرية قوية على السواحل لحماية خطوط مواصلاتهم البحرية . وبذلك أصابوا التجارة العربية اصابة مباشرة وانزلوا بها ضررا بالغا . وادى هذا الى اضعاف مركز العرب الجنوبيين اليمنيين اضعافا شديدا والى الحاق الاذى بمصالحهم . كما صار الروم وغيرهم يتدخلون في شؤون « العربية الجنوبية » تدخلا مباشرا أحيانا وغير مباشر أحيانا أخرى على نحو مــا سيحدث فيما بعد (١٣) ، وخاصة عندما تفتقر اليمن الى حكومة حميرية قويــة في نهاية عهد حضارتها القديمة .

ففي القرن الاول الميلادي مني اليمن بتدخل حبشي نتيجة لتواطؤ قبائــل « همدان » مع الاحباش في بداية ظهور الانقسامات داخل صفوف المجتمع اليمني

القديم . ولعل هذه الحالة المتردية هي التي يطلق عليها المؤرخ البريطاني « أرنولد توينبي » بزمن الاضطرابات حيث تنشأ الفتن والحروب بين القوى الاقليمية داخل مجتمع له كيان حضاري واحد . فقد جاء الهمدانيون بالاحباش لاول مرة الى اليمن ليساعدوهم في حروبهم ضد « حمير » في سنة ١٢٧ ميلادية أو قبيل هذا العام بقليل .

وكما هو معروف ان الدولة الاكسومية أو الحبشية التي استعانت بها قبائل همدان في ذلك الحين كانت من سلالة القبائل اليمنية القديمة المهاجرة الى الحبشة في القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد واهمها قبائل « سحرت » و « حبشت » و « الاجاعز » و « المهرة » فقد استطاعت تلك القبائل اليمنية المهاجرة أن تتفوق على اصحاب البلاد من عناصر افريقية وحامية نتيجة لتفوقها الحضاري عليها ، وان تبسط عن طريق نفوذها الاقتصادي سلطانها السياسي والثقافي على الحبشة (١٤) وكان لهذه العناصر اليمنية دور كبير في تأسيس الدولة الاكسومية في الحبشة التي بقيت حوالي ثمانية قرون من القرن الاول قبل الميلاد حتى مجيء الاسلام في القرن السابع الميلادي . وهكذا تمكنت قبائل همدان عن طريق تحالفها مع الاحباش ان تخضع « سبأ » و « بني حمير » حتى تلقب « بنوهمدان » لبعض الوقت بلقب « ملوك سبأ وذي ريدان » . وفي مقابل هذا التحالف استطاع الاحباش أن يضمنوا لهم املاكا في منطقة تهامة اليمنية المواجهة للحبشة .

على ان هذا التحالف بين قبائل همدان والاحباش لم يستمر طويلا نظرا لأن الاحوال في اليمن كانت غير مستقرة ، كما أن انتصار همدان لم يكتب له الاستمرار . ومن هنا بدأ الاحباش يتحالفون مع الفريق اليمني المنتصر ، فتحالفوا تارة مع « حمير » ضد « همدان » ، كما تحالفوا مرة أخرى مع « همدان » ضد « حمير » حتى تنبه الهمدانيون والحميريون الى التحالف ضد الاحباش الاجانب في فترة يقظة وطنية ، وتمكنوا بذلك من طرد الاحباش من اليمن ، وتخلصوا حينذاك من هذا التدخل الاجنبي .

وقد تعرضت اليمن لهجوم حبشي ثان قاده الملك الحبشي « ايلاميدا الاول » في النصف الاول من القرن الرابع الميلادي قام به الاكسوميون المنحدرون من أصل يمني ، وقد استعاد هؤلاء الاحباش نفوذهم على السواحل الغربية لليمن المواجهة لبلادهم . واستمر نفوذ الاحباش هناك طوال الفترة الممتدة بين عامي ٣٤٠ و ٣٧٥ ميلادية ، حتى تمكن اليمنيون من طردهم من اليمن بعد ان تلقب احد ملوك الاحباش بلقب « ملك اكسوم وحمير وذي ريدان وحبشت وسبأ وزيلع وتهامة » (١٥) مما يظهر مدى تسلطه على جزء كبير من اليمن والحبشة وبعض المناطق الافريقية في ذلك الحين .

وأثناء وجود الاحباش في اليمن في تلك الفترة انتشرت المسيحية داخل المجتمع اليمني بعد أن فقد الثقة في معتقداته الوثنية . فقد اعتنق ملك حمير الديانة المسيحية في سنة ٣٦٠ ميلادية ، وبدأت الكنائس المسيحية تشيد في المدن اليمنية كظفار وعدن ، وبدأ التقرب الى الاله « ذسموى » اي « الاله رب السماء » . غير أن هذا التطور الديني نحو التوحيد عن طريق اعتناق اليمنيين للديانتين اليهودية والمسيحية قد حاولت ان تستفيد من ورائه القوتان العظميان المتحكمتان في شعوب الشرق الاوسط المتمثلتان في دولتي الفرس والروم . وبدأ الروم يدعمون انتشار المسيحية في اليمن لينفذوا عن طريقها الى داخل البلاد حتى يتحكموا في مقدراتها بما يخدم مصالحهم الاقتصادية والسياسية فيها .

وقد اوجد الصراع الدولي بين الروم والفرس في احداث بلاد اليمن في القرن السادس الميلادي ثغرة انتقل منها الى بلاد العرب ، وذلك ان صراعا نشب في اليمن بين أتباع اليهودية فيها واتباع المسيحية ، وأتاح لكل من الفرس الوثنيين والروم المسيحيين التدخل في تلك المشكلة الداخلية تحت ستار مساعدة أتباع كل دين .

وكانت الديانة المسيحية قد دخلت شبه الجزيرة العربية منذ انتشارها في فلسطين ، وزاد عدد اتباعها نتيجة السفارات التي بعث بها اباطرة الروم الى شتى أرجاء الجزيرة العربية وخصوصا الى بلاد اليمن في عهد مملكة حمير ، ولم تلبث بعض جهات اليمن ان اعتنقت المسيحية في سنة ٥٠٠ ميلادية . واضحت « نجران » كرسيا أسقفيا في العقد الثاني من القرن السادس الميلادي (١٦) . غير أن احد ملوك حمير الذين حكموا اليمن في القرن المذكور وهو « ذونواس » الحميري اعتنق اليهودية وتعصب لها ضد المسيحية وأتباعها . وأصبح الصراع بين اليهودية والمسيحية متوقعا في القرن السادس الميلادي نتيجة اختلاطه بالمنافسة الاقتصادية والسياسية للقوتين العظميين في العالم في ذلك الحين . اذ وجد ذو نواس اليهودي ان التجار المسيحيين من الروم وعملاءهم الاحباش يسيطرون على تجارة البحر الاحمر مما اصاب بلاد اليمن بالفقر الإقتصادي . وقد انتاب « ذونواس » شك عميق في ميول رعاياه المسيحيين في نجران نحو هؤلاء التجار الروم والاحباش لاشتراكهم معهم في الدين ونظر اليهم على أنهم رمز التدخل الاجنبي في اليمن ومصدر فقرها وشقائها . فأنذرهم بترك دينهم واعتناق اليهودية، وحينما رفضوا الانذار زج بهم في أخدود وقضى عليهم حرقا في اكتوبر سنة ٥٢٣ ميلادية .

ومن المرجح أن قيام « ذونواس » بتعذيب المسيحيين اليمنيين لم يكن مرجعه تعصبه لليهودية فحسب ، بل أن ذلك كان مرتبطا بالصراع السياسي الذي كان

محتدما حينذاك بين الفرس والروم لاحتلال اليمن . فقد وصل الاحباش الى سواحل اليمن الغربية من جديد واقاموا لهم فيها قواعد وعقدوا عدة أحلاف مع الامراء المنافسين لملوك « حمير » ، وصاروا يحرضونهم ضد السلطة الحميرية المتهودة ليتمكنوا بذلك من السيطرة على اليمن وعلى منافذ البحر الاحمر والمحيط الهندي لصالحهم ولصالح حلفائهم الروم في وجه النفوذ الفارسي ، وقد مهدت هذه الفتنة السبيل امام الاحباش أن يسيطروا على اليمن . والمرجح ايضا أن الاحباش كانوا قد نزلوا الى ارض اليمن قبل قيام « ذونواس » بتعذيب نصارى اليمن بسنين . فقد وقعت حروب بينه وبين الاحباش قبل ذلك ، مما يساعدنا على تفسير حوادث اضطهاد المسيحيين في « نجران » بأنها جاءت كرد فعل ضد التدخل الحبشي المتكرر في شؤون اليمن حينذاك .

وقد سجل لنا كل من الطبري (١٧) وابن الاثير (١٨) وصفا لحادثة الاخدود في نجران ، وان كنا ما زلنا في حاجة لاسانيد مادية محددة لتقييم هذه الحادثة . واذا كان القرآن الكريم قد شجب هذه الحادثة في سورة الاخدود المعروفة فان الكثيرين من المفكرين يعللون هذا الشجب بقولهم أن قسوة الملك الحميري بلغت ذروتها في اضطهاد المسيحيين اليمنيين دون أن يفرق بين من اجتذبته قناعته بالدين المسيحي وبين من كان يتخذ من هذا الدين وسيلة لمساندة الاحباش أو الروم للحصول على مكاسب معينة .

وعلى اية حال فقد صاحب حادثة الاخدود قيام « ذونواس » بقتل التجار الروم الذين كانوا في اليمن انتقاما من الروم الذين اساءوا فيبلادهم معاملة ابناء ملته اليهود واضطهادهم من جهة ، والذين أيدوا الاحباش في هجماتهم السابقة على السواحل التهامية لليمن من جهة أخرى . ولا شك ان تخلص « ذونواس » من التجار الروم قد الحق اضرارا فادحة بتجارة الروم وحلفائهم الاحباش لان أسواق اليمن أصبحت مغلقة في وجوههم في ذلك الحين .

وتحتفظ السريانية بثلاث وثائق عن الاضطهاد الذي أثاره « ذونواس » على نصارى بلاد حمير عام ٥٢٣ ميلادية ، على نحو ما يشير اليه « اغناطيوس يعقوب الثالث » في بحثه « الشهداء الحميريون العرب في الوثائق السريانية » الذي نشرته المجلة البطريركية في دمشق عام ١٩٦٦ (١٩) . فهو يؤكد أن هذه الوثائق الثلاث تعد « أوثق مصدر لمجريات هذا الاضطهاد ، اذ عالجتها ببراعة معاصرة له بمنتهى التجرد والنزاهة ، فضلا عن القائها اضواء الحقيقة على تقاليد اليهودية والدين المسيحي ، وعلى امتداد جذورهما في جنوبي الجزيرة العربية في القرن السابق لقيام الرسول العربي « محمد صلى الله عليه وسلم » حيث كان كل منهما قويا متمكنا فيها ، بينما كان ظل وثنيتها يتقلص يوما بعد يوم » .

والوثائق المشار اليها هي رسالتان وكتاب « لمار شمعون » السرياني أسقف « بيت أرشم » في بلاد الفرس (٥٠٣ ــ ٥٤٠م) . يضاف اليها تعقيب « لمار يوحنا الامدي » أسقف « افسس » (٥٨٧م) ، ومغيث (اي نشيد كنسي) نظمه « مار يوحنا بسلطوس » رئيس دير « قنسرين ») ٦٠٠م (. ومن واقع هذه الوثائق يشير « أغناطيوس يعقوب الثالث » في بحثه الى ما يلي :

« لقد روى الذين وفدوا من نجران ، انه حالما تملك هذا اليهودي المنافق (ويقصد به ذونواس) كتب الى حضرموت وسبأ وحزبه ودياريدن وثيمنة ونجران وعداها من البلاد الخاضعة لسلطانه ، ليحضروا الى دياريدين . اما هو فتوجه الى ظفار عاصمة الحميريين ريثما يجتمعون ... فلما تسلموا رسائل الايمان خرجوا اليه ، وكانوا ثلاثمائة رجل مع رئيس قسوس الاحباش واسمه ابابوت ، رحب بهم اليهودي بوجه باسم ، ثم فرقهم على عظمائه ليقتل كل منهم الحبشي الذي في حوزته . وفي تلك الليلة قتل الجميع . وفي الصباح ، وجدت اشلاؤهم مكومة بعضها فوق بعض . وللحال ارسل رجالا الى مدينة ظفار واحرق الكنيسة التي كان فيها الاحباش ، وكل من وجد ثمة من الاحباش ، وكانوا مئتي رجل . فكان عدد الاحباش الاولين والاخرين جملة خمسمئة ، ما بين اكليريكي وعلماني . واوفد للحال صحبه كهنة اليهود الى البلاد الخاضعة لسلطانه ، لقتل المسيحيين حيثما وجدوا ، اللهم الا اذا كفروا بالمسيح وتهودوا . وأمر بأن يحرق هو وبيته كل من يخفي مسيحيا وان يصادر كل ماله . فقتل اولا في حضرموت القديس القسيس مار ايليا ... وتكللت معه أمه واخوها ايضا » .

وفيما يتعلق بقضية التشكيك في أن الحميريين كانوا احباشا ، فاننا نجد « اغناطيوس يعقوب الثالث » يقول في بحثه المشار اليه في موقع اخر : (٢٠) « ارتأى بعض المؤرخين المعاصرين لنا ، أن الحميريين كانوا احباشا ، بيد أن الوثيقة التي بين ايدينا اثبتت كونهم عربا ، ومن أبرز ما ورد فيها من هذا القبيل ثلاثة أمور . الاول : أسماء الشهداء والمؤمنين الحميريين . والثاني : لغتهم . والثالث : عدد الاحباش في بلاد حمير . فالاسماء معظمها عربية بحتة . ومنها : الشيخ الحارث بن كعب ، الملك معذ كرم ، عبدالله بن ملك ، عربي بن دويل ، ملك بن معاوية من عشيرة يقبول ، موسى بن مازن ، معاوية بن احويه . والسيدات : مانحة أمة الحارث ، حبصة (بنت حيان) . اما لغتهم : فهي الحميرية من اللغات السامية . ووردت فيها كلمتان بلفظهما العربي وهما وادي وخندق : فلو كان الحميريون احباشا لكانت لغتهم ايضا حبشية » .

اما بالنسبة لاسم الملك الحميري الذي قام باضطهاد المسيحيين في حادثة الاخدود المشار اليها والذي اورده الطبري باسم « ذونواس » وهو ما أخذنا به ،

فقد اوضح « اغناطيوس يعقوب الثالث » في بحثه المذكور ان الوثيقة الثالثة جاء بها ان اسم الملك اليهودي الذي اضطهد مسيحيي نجران يدعى « مسروق » ، وان اسم احد قواده يدعى « ذو يزن » . كما اشار أيضا الى كتاب « مسروق » هذا الى الشريف « الحارث » ليسعى حالا بجمع كل رجال الحرب من المسيحيين الذين يعيشون في مدينة نجران وارسالهم اليه بدعوى انه على اهبة الخروج للحرب(٢١).

ولا شك ان قضية الاسم الخاص بالملك الحميري اليهودي الذي قام باضطهاد مسيحيي نجران ، وعما اذا كان يدعى « مسروق » كما أشارت تلك الوثيقة والروايات السريانية الاخرى ، أو يدعى « دونا اس » كما ورد في قصة القديس الحارث اليونانية ، او يقال له « ذونواس » لدى المؤرخين العرب المسلمين ، فانها قضية ما زالت موضع الدراسة والبحث ، ولا يمكننا أن نحسمها علميا الا بتوفر ادلة كافية توضح ما اذا كان « مسروق » هو « دونا اس » أو « ذو نواس » أو اسما اخر لم نتوصل اليه بعد ، وهل « ذو نواس » كان اسما أم كنية للعشيرة التي كان ينسب اليها «مسروق» كما كان مثلا « ذو يزن » ومنه «سيف بن ذي يزن» على نحو ما سوف نشير اليه في هذا البحث .

اما فيما يتعلق بعدد الشهداء الذين راحوا ضحية هذا الاضطهاد فقد ذكر الطبري نقلا عن « ابن اسحق » ان « ذا نواس » قتل من اهل حمير وقبائل اليمن قريبا من عشرين الف (٢٢) . غير أن هذا العدد لم يذكر في الوثائق السريانية المشار اليها . فالوثيقة الاولى روت قول المضطهد اليهودي في رسالته الى المنذر ملك الحيرة ، انه فكر قبل كل شيء في ابادة نصارى تلك البلاد اذا لم يتهودوا مثله ، فقضى أولا على الحامية الحبشية وكانوا مائتين وثمانين شخصا ، وذكرت مجزرته التي روعت نجران ، وفتكه بجميع الاشراف النجرانيين برئاسة الشيخ الحارث بن كعب ، وبكثير من الاطفال .

بينما تشير الوثيقة الثانية الى أن الاحباش الذين فتك بهم المضطهد اليهودي في مدينة ظفار كانوا خمسمائة شخص . وقالت ان اشراف نجران الذين خرجوا الى المضطهد اليهودي برئاسة الشيخ الحارث ، وقتلوا ، كانوا الف شخص ، وان رجال الاكليروس وغيرهم الذين ملأوا بهم كنيسة نجران واحرقوهم معها ، بلغوا الفين ، فضلا عن عدد اخر من اشراف وشريفات واماء نجران .

أما الوثيقة الثالثة فتشير الى مقتل خمسمائة من الاحباش ، ونحو ٤٧٥ من شهداء وشهيدات نجران منهم ٢٩٩ امراة كانت كثيرات منهن تحملن اطفالهن .

ومن الملاحظ ان ما ورد في الوثيقة الثانية التي اشرنا اليها يتفق مع ما جاء في قصة الحارث التي صرحت بأن عدد الشهداء في حادثة الاخدود قد بلغ اربعة

الاف نفس ، وبذلك تكون رواية ابن اسحق التي قدرت عدد الشهداء بعشرين الف نفس مبالغ فيها بشكل واضح .

واذا ما تناولنا الدوافع العسكرية لغزو الاحباش لليمن عام ٥٢٥ ميلادية(٢٣) فينبغي ان نشير الى الاهمية البالغة التي يتميز بها ميناء عدن من النواحي الطبيعية والاستراتيجية فضلا عن اهميته الاقتصادية وتحكمه الكامل في مضيق باب المندب وفي الخليج الموصل بين البحر الاحمر والمحيط الهندي .

وعلى اية حال فقد اعد نجاشي الحبشة حملته على اليمن ، وتحركت تلك الحملة على ظهر اسطول بحري ضخم عبر البحر الاحمر من جانبه الغربي الى جانبه الشرقي . وليس لدينا ما يثبت اشتراك سفن قيصر بيزنطة في نقل جنود الحملة الحبشية الى اليمن حينذاك . ويرجح أن اشتراك بيزنطة كان اشتراكا رمزيا فحسب وقد يرجع عدم اشتراك القيصر بسفنه أو بقواته لبعد المسافة بينه وبين اليمن من جهة ، ولاستفادته من الدرس الذي تعلمه الرومان من حملتهم الفاشلة ضد اليمن عام ٢٤ ق.م. من جهة اخرى . غير انه من المؤكد أن بيزنطة كانت تؤيد الاحباش بعواطفها في غزوهم لليمن بسبب الفوائد التي تعود على بيزنطة اذا ما تحقق هذا الفتح لصالح حلفائهم الاحباش .

اما بالنسبة لقوة الحملة الحبشية ومدى امكاناتها فليست لدينا ارقام واضحة او عدد محدد لمن اشتركوا فيها . الا ان الحملة قد اعدت اعدادا كاملا بما يلزمها من سفن وقوات ساعدتها على تحقيق الهدف المرجو منها في الاراضي اليمنية . وفيما يتعلق بشخصية قائد الحملة فقد اختلف الرواة حولها ، فبعضهم ذكر أن اسمه « أرياط » ، وبعضهم ذكر انه شخص اخر من أقرباء النجاشي . وراي ثالث يقول أن قائد الحملة كان « أبرهة » (٢٤) . وهذا الخلاف حول اسم قائد الحملة أدى الى قيام خلاف اخر حول من قام بحكم اليمن بعد فتحها .

فهناك رأي يقول بأن « أرياط » كان أول من حكم اليمن من الاحباش بعد حملة عام ٥٢٥ ميلادية . وأن « ابرهة » قتله لاستبداده بالحكم وحل مكانه . وراي يقول بأن النجاشي اعترف « بالسميفع اشوع » الحميري ملكا على اليمن على ان يدفع الجزية (٢٥) . غير أن الجنود الاحباش بقيادة « أبرهة » قتلوا « السميفع » وتولى ابرهة حكم اليمن من بعده .

اما عن المكان الذي نزلت فيه الحملة الحبشية على الساحل اليمني والمكان الذي اشتبك فيه « يوسف ذو نواس » معهم فليس لدينا ما يحدده تحديدا علميا . ومن المرجح أن تكون المعركة قد دارت رحاها على ساحل البحر الاحمر الشرقي في الارض اليمنية ، وان « يوسف ذو نواس » قد قاوم الغزاة بكل قوة ، غير أن

الامر انتهى بهزيمته .

وقد تضاربت الاراء حول مصير « يوسف ذو نواس » . فالروايات العربية تقول بأنه غرق في البحر مع فرسه . والروايات النصرانية تقول بأنه قتل (٢٦) . ويؤيد هذا الراي الاخير « فون كريمر Von Kremer » (٢٧) وقد استنتج رايه من بيت شعر ينسب الى « علقمة ذي جدن » زعم انه قائله هو :

أوما سمعت بقتل حمير يوسف   اكل الثعالب لحمه لم يقبر

على ان « اغناطيوس يعقوب الثالث » يشير في بحثه السابق ذكره « الشهداء الحميريون العرب في الوثائق السريانية » أن الوثيقة الثالثة روت : « أن كالب المؤمن ملك الحبشة انجد الكنيسة الحميرية ، فشخص بجيشه وعلى راسه القائد ذاونس الى بلاد الحميريين برا لتدويخها ، وحاربوا الحميريين في البحر وقتلوا منهم خلقا كثيرا ، منهم مسروق الطاغية الذي قتل وسقط في البحر ، فجر جثته احد الاحباش المؤمنين الى ساحل البحر ، ثم استل سيفه وحز راسه ثم طاردوا جنوده وحصدوهم كالسنابل ... ثم اجتازوا بالمدن الحميرية كلها وتناولوها قتلا ونهبا . واقام وعساكره في البلاد الحميرية زهاء سبعة اشهر ، بنى خلالها عدة كنائس (٢٨) » .

وتذكر الروايات العربية أن شخصاً واحدا فقط تمكن من الفرار من مذبحة الاخدود ويدعى « دوس ذو ثعلبان » ، وان هذا الرجل قد تمكن من ابلاغ نجاشي الحبشة وامبراطور الروم « جستنيان » بهذه المذبحة . وايا كان نصيب هذه الروايات من الصحة فانه من المرجح أن يكون خبر هذه الحادثة قد وصل الى مسامع نجاشي الحبشة وامبراطور الروم عن طريق التجار الاحباش والروم الذين اوصدت منافذ اليمن في وجوههم .

وقد انتهز الامبراطور « جستنيان » امبراطور الروم هذه الفرصة وعمد الى الاستفادة منها لبسط سلطانه على بلاد اليمن وتدعيم مركز بلاده التجاري في البحر الاحمر والمحيط الهندي . وبعث الامبراطور « جستنيان » الى نجاشي الحبشة باعتباره حليفا لدولة الروم وراعيا لمصالحها في تلك المناطق فضلا عن كونه راعيا للمسيحيين فيها بوجه عام ، طالبا منه التدخل لانقذ نصارى اليمن .

واذا كان الغزو الحبشي لليمن في سنة ٥٢٥ قد اعقب حوادث اضطهاد «ذو نواس» للمسيحيين اليمنيين في نجران بحيث اعتبرت سببا مباشرا لهذا الغزو، فقد كانت هناك اسباب اخرى متعددة دفعت الاحباش الى غزو اليمن . اما عن السبب الديني فقد تمثل في رغبة الاحباش في الانتقام لاخوانهم المسيحيين الذين اضطهدهم « ذو نواس » في اليمن ، كما تمثل أيضا في حرص الاحباش على نشر

الدين المسيحي في تلك البلاد الغنية ، خاصـــة وان بيزنطة كانت تؤيـــدهم في ذلـــك (٢٩) .

ولا شك ان العامل الاقتصادى كان من اهم الدوافـــع التي ادت الى غزو الاحباش لليمن . فقد هدف الاحباش من وراء غزوهم الى فتح ابواب هذه المنطقة امام التجارة الحبشية والسيطرة على تجارة اليمن ونقلها الى ايديهم . ومن جهة ثانية فان الاحباش قد رغبوا في السيطرة على الاراضي اليمنية الخصبة والغنية بالمحاصيل الزراعية . وقد وقفت بيزنطة تؤيد الحبشة في غزوها لليمن آملة من وراء ذلك اعادة التجارة البيزنطية الى منطقة نجران وسيطرتها على تجارة المحيط الهندي . ومن ثم اغلاق الاسواق اليمنية في وجه التجارة الفارسية .

اما بالنسبة لدوافع الاحبـــاش السـاسية لغزو اليمن في ذلك الحين فانها تتبلور في ان نجاشي الحبشة كان قد رغب في تكوين امبراطورية واسعة تضم اليها اليمن . كما أن قيصر بيزنطة رغم عدم وضوح موقفه من الحملة ، الا انه كان يأمل في ايجاد جبهة سياسية من بيزنطة والحبشة واليمن ضد عدوه التقليدي كسرى فارس . ويذكر بعض المؤرخين ان « ذو نواس » قام بحملة فاشلة ضد الحبشة ، وعليه فانهم يذكرون بأن الغزو الحبشي لليمن كان رد فعل طبيعي ضد تلك الغزوة الفاشلة .

واذا تساءلنا عن العوامل التي ساعدت الاحباش في غزوهم لليمن فاننـــا نوجزها فيما يلي :

اولا : ان حكومة اليمن الحميرية لم تكن تملك حينذاك اسطولا حربيا قويـــا يواجه الاسطول الحبشي ويرده عن الاراضي اليمنية .

ثانيا : لم تكن الاوضاع الداخلية في اليمن مستقرة حينذاك مما لم تتحقق معه وحدة وطنية . اذ كانت هناك عدة حروب قبلية ادت الى تفتت وانقسام القبائل وعدم تماسكها وتعاونها في رد المعتدين ، كما أدى الخـــلاف السياسي القائم بين « يوسف ذو نواس » وبعض القبائل اليمنيـــة الاخرى الى عدم وقوف القبائل الى جانبه وقت المحنة .

ثالثا : كانت القوات الحبشيـــة على درجـــة كبيرة من الاستعداد والتدريب والتسليح كما كانت مدعمة ايضا بالتأييد المعنوي البيزنطي .

رابعا : كانت الروح المعنويـــة لدى الاحبـــاش مرتفعة للغايـــة خاصة بعد انتصارهم على الحملة الفاشلة التي سبق ان وجههـــا « ذو نواس » لغزو الحبشة (٣٠) .

وبعد ان حقق الاحباش رغبتهم بالسيطرة على اليمن في سنة ٥٢٥ فان حكم « السميفع اشوع » الذي عينوه واليا تحت سيادتهم لم يدم طويلا (٣١) ، اذ بدات ثورات اليمنيين تشتعل ضد الوجود الحبشي كما تذكر بعض الروايات ان العمال والعبيد قد ثاروا في وجه القائد الحبشي « أرياط » حين سخرهم لهدم الحصون اليمنية ومن اهمها « سلحين » و « بينون » التي ظلت طوال عهد الاحتلال الحبشي الاول معقلا للمتمردين .

وقد استغل احد الاحباش ويدعى « ابرهة الاشرم » تلك الحالة المضطربة في اليمن وبدا يبذل جهوده للاستئثار بالسلطة في البلاد حتى انه تمكن من قتل « ارياط » وهزم جنوده وامسك بزمام الامور في اليمن .

وعلى الرغم من ان « أبرهة » أعلن نفسه في باديء الامر كنائب للاحباش، غير ان تبعيته لهم كانت واهية اذ أن « أبرهة » اصبح حاكما لليمن وانحصرت في يده كافة السلطات ، واتخذ من صنعاء عاصمة له (٣٢) . وكان « أبرهة » عند بداية توليه حكم اليمن يبعث الجزية لنجاشي الحبشة ويعترف له بالتبعية والولاء، غير أنه بعد أن أنس في نفسه القوة بسيطرته على اليمن بتجارتها وزراعتها وكنوزها ، فقد قطع الجزية عن النجاشي واعلن استقلاله بحكم اليمن ولقب نفسه ملكا للبلاد . ويتضح ذلك من استقبال « أبرهة » لوفود الدول ومن بينها وفد يمثل نجاشي الحبشة ذاته .

وقد حاول « ابرهة » أن يجني ثمار حكمه لليمن مما جعله يعمل على تنمية زراعتها ، ومن هنا جاء اهتمامه باصلاح سد مأرب حتى يوفر المياه اللازمة للزراعة كما أنه (٣٣) قد اتخذ عدة وسائل للقضاء على الديانة اليهودية في اليمن حتى أنه فرض عقوبة على كل مسيحي يزوج ابنته من يهودي ، والزم اليهود بتزويج بناتهم للنصارى حتى يتمكن من ايجاد شعب موحد النظرة متجانس العقيدة . ولهذا فقد بذل جهوده ايضا لنشر المسيحية في اليمن عن طريق المبشرين ، وتم في عهده بناء عدة كنائس مثل كنيسة نجران وظفار والكاتدرائية الشهيرة المعروفة باسم « القليس » في صنعاء (٣٤) (الكليزيا باليونانية) والتي زخرفها بالرخام والفسيفساء وطعمها بالذهب واللؤلؤ . وقد قام « جستنيان » امبراطور الروم بمساعدة « ابرهة » في بناء هذه الكاتدرائية وأرسل اليه الصناع وأمده بالفسيفساء والرخام لبنائها (٣٥) .

ومن اهم الامور التي يجدر الاشارة اليها في هذا المجال موقف الشعب اليمني في مواجهته وتصديه للغزو الحبشي . وقد سبق ان اشرنا الى ان « يوسف ذو نواس » ومن معه من القبائل اليمنية قاوموا غزو الاحباش لليمن . غير انه نتيجة

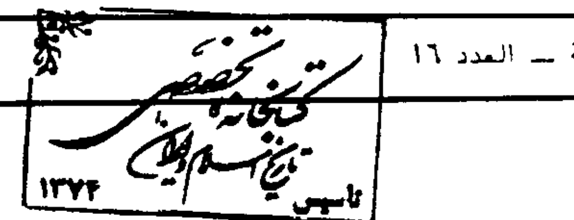
للاسباب التي ذكرناها آنفا انهزم « ذو نواس » ورجاله وانتهى الامر باحتلال الاحباش الغزاة للاراضي اليمنية . غير أن اليمنيين لم يستكينوا للاحتلال اذ أن المقاومة اليمنية الوطنية استمرت ضد الاحباش الاجانب .

وقد تم العثور على نقش لنص طويل كتب في عهد « أبرهة » ويتألف من (١٣٦) سطرا ويعتبر هذا النقش ثاني نقش طويل بعد نقش (صرواح) وهو يسجل اخبار ثورة اليمنيين ضد الاحباش الى جانب حديثه عن ترميم سد مأرب . اذ أشير في هذا النقش الى الثورة التي قام بها « يزيد بن كبشة » ضد « ابرهة » . « ويزيد » هذا كان من زعماء القبائل البارزين في اليمن انابه « ابرهة » في حكم بعض القبائل اليمنية . وقد انضم الى هذه الثورة كثير من الاقيال منهم « سبأ » و « ذو سحر » و «مرثد» و « ذو خلين » و « حريب » و « حضرموت » و «ذو يزن» ومن القبيلة الاخيرة يأتي « سيف بن ذي يزن » . وفي هذا النقش الطويل ذكر « أبرهة » أنه قام بترميم سد مأرب مرتين في عامي ٥٤٢ ، ٥٤٣ ميلادية ، وقد اشترك في عمليتي الترميم هذه جموع من ابناء العشائر اليمنية والجنود الاحباش . وقد دون « ابرهة » في نهاية النص ما انفقه على ترميم السد من اموال ، وما قدمه الى العمال والجنود الذين اشتركوا في العمل من سبل الاعاشة حتى اتموا مهمتهم (٣٦) .

ويوضح هذا النقش أن « يزيد بن كبشة » قد استعان ببعض القبائل اليمنية لطرد الاحباش من اليمن ، وكان يأمل في قيام القبائل اليمنية الاخرى بالوقوف الى جواره صفا واحدا عندما تندلع الشرارة الاولى للثورة . غير ان القبائل اليمنية كانت تعاني من الانقسامات والفرقة بين صفوفها مما جعلها تعجز عن مساندة تلك الثورة وربما لم يقم « يزيد » بجهد كاف للاتصال بزعماء القبائل وحثهم على الانضمام الى بقية القبائل الثائرة معه . وقد أشارت بعض الروايات الى ان « معد كرب بن السميفع أشوع » قد وقف الى جانب « يزيد بن كبشة » في ثورته ضد الاحباش .

على أن « ابرهة » سارع من جانبه لمواجهة هذه الثورة قبل أن يستفحل امرها ، وقام بارسال جيش بقيادة أحد أنصاره ويدعى « جراح ذو زينور » . غير أن « يزيد » تمكن من هزيمته ، وبدأ « يزيد » بعد ذلك في مهاجمة المناطق الموالية « لابرهة » . وهنا قرر « أبرهة » ان يعالج الموقف بسرعة فأرسل جيشا كبيرا لمواجهة « يزيد » والقبائل اليمنية الثائرة وذلك في سنة ٥٤٢ ميلادية مما اضطر « يزيد » الى الاستسلام بعد أن تبين له عدم مقدرته على مواجهة هذه القوات الحبشية التي لا قبل له بها .

على أن ثورة اليمنيين ضد الاحباش لم تنته باستسلام « يزيد بن كبشة » ،



فقد بقيت الثورات المحلية القبلية قائمة ضد الحكم الاجنبي رغم محاولات « أبرهة » للقضاء عليها . ويمكننا القول بأن الثورات المحلية غير المنظمة قد ازدادت اشتعالا وخاصة بعد الحملة الفاشلة التي وجهها « ابرهة » لغزو الحجاز .

وهنا تجدر الاشارة الى ان الحملة التي وجهها « ابرهة » لغزو الحجاز لهدم الكعبة الشريفة في مكة في سنة ٥٧٠ ميلادية (٣٧) . وتذكر الروايات أن سبب هذه الحملة يرجع الى ان اثنين من عرب الحجاز اهانا كنيسة أبرهة في صنعاء بوضع جيفة فيها (٣٨) . وقد أراد « ابرهة » أن ينتقم لهذه الاهانة الدينية بتدمير الكعبة ، ومن ثم اعلاء مكانة كنيسة « القليس » عن طريق اكراه الناس بالحج اليها (٣٩) . وربما هدف « ابرهة » الى نشر المسيحية في الحجاز بصورة واسعة بعد أن يقوم بهدم الكعبة .

على انه يرجح أن « ابرهة » هدف من غزو الحجاز الى بسط سيادة الاحباش وبالتالي سيادة الروم على الحجاز باعتبارها أهم شريان للتجارة بين الشرق والغرب حينذاك . كما هدف ايضا الى فتح الطريق الى بلاد اليمن أمام التجار الروم للسيطرة على مكة ذات المركز التجاري الكبير . وأيا كان سبب هذه الحملة وغرضها فقد فشلت فشلا ذريعا وعاد « ابرهة » الى اليمن يجر أذيال الخيبة في سنة ٥٧١ ميلادية التي عرفت بعام الفيل . واعتبرت هذه الحادثة نقطة تحول في تاريخ بلاد العرب كلها بوجه عام وفي تاريخ اليمن على وجه الخصوص . اذ ارتد نفوذ الروم الى بلاد اليمن وبقيت الحجاز أرضا خالية من اية قوة سياسية مما مهد السبيل لانتشار الاسلام فيما بعد . كما ولد في هذا العام نبي الاسلام محمد ابن عبد الله عليه صلوات الله وسلامه .

وجدير بالذكر أن فشل « أبرهة » في غزو الحجاز كان نكسة لاهداف الروم الذين كانوا يتطلعون من وراء هذه الغزوة الى ابعاد تطلعات الفرس عن اليمن وعن الجزيرة العربية . وبالمقابل كان الفرس ينهجون نفس هذا الموقف العدائي من الروم . وبتحريض من الروم قام ابرهة بغزو الحجاز ولكنه فشل في مسعاه . ولو تحققت أهدافه لاصبح غزب الجزيرة العربية كلها تحت النفوذ الروماني الحبشي ولربطت اليمن ببلاد الشام ، وبذلك كان يمكن أن يحقق الاحباش وحلفاؤهم الروم نصرا سياسيا واقتصاديا هائلا ضد فارس التي كانت تتحكم اقتصاديا في التجارة الشرقية في ذلك الحين .

وهناك تساؤل عن الاسباب التي ادت الى فشل « ابرهة » في غزو الحجاز رغم قوة الحملة التي اعدها لهذا الغرض من جهة ورغم التأييد المعنوي الذي كان يحظى به من قبل دولة الروم حينذاك من جهة أخرى ، بل أن هذا الجيش

لم يواجه بمقاومة فعلية من قبل عرب الحجاز أو اهالي مكة الذين كان على راسهم عبد المطلب جد النبي محمد عليه صلوات الله وسلامه الذي توجه لمقابلة « ابرهة » من أجل استعادة بعيره « أما البيت فله رب يحميه » كما تبلغنا روايات الاخباريين. كما وردت بالقرآن الكريم سورة الفيل التي تحكي ما حدث لجيش « أبرهة » . وهنا يدور نقاش علمي حول الاسانيد المادية لما ورد في هذه السورة . ويصل هذا النقاش الى أن جيش « ابرهة » قد ضلله الادلاء العرب في الطريق الى الحجاز وساقوه الى نجد حيث عانى الامرين في السير مسافات شاسعة بين دروبها . وقد تعرض هذا الجيش لوباء الجدري الذي ينتقل بالعدوى عن طريق فيروسات تقتحم الخلايا بالاجسام وتدمرها ، فتصبح الاجسام بعد أن تتقيح تماما « كعصف مأكول »(٤٠) ويرجع بعض خبراء منظمة الصحة العالمية بداية وصول وباء الجدري الى اليمن الى تاريخ حملة أبرهة حيث دخل الوباء الى البلاد مع حلول القوات المريضة العائدة . حتى أن ابرهة نفسه قد توفي متأثرا بوباء الجدري وان اختلفت الروايات حول وفاته وهو في طريقه الى اليمن أو عقب عودته اليها خائبا مدحورا .

اما عن الاوضاع في اليمن في الفترة التي أعقبت وفاة « أبرهة » فانه على الرغم من عدم توفر مصادر وثائقية توضح طبيعتها وخاصة في عهد خلفاء «ابرهة» الضعاف ، غير أنه من المنطقي أن تظل الثورات المحلية قائمة كما أن اوارها كان يزداد اشتعالا بطبيعة الحال وذلك في عهد ولديه « يكسوم ومسروق » ، اللذين كان حكمهما ينحدر في طريق الانهيار التام .

وهناك راي يقول بأن التقليد الذي كان يتبعه الاحباش منذ احتلالهم الاول لليمن أن يجعلوا على الاصقاع اليمنية ملكا صوريا من متنصري اليمن من الاقيال . ويبدو أن « أبرهة » الطموح الغى هذا النوع من التقليد ، وجعل الملك محصورا في عائلته وذويه . وقد اثار بتصرفه هذا حقد بعض الاقيال الذين كانوا يرون في انفسهم ورثة شرعيين لحكم جزء من اليمن تحت حراب الاحباش . ومن هنا لجأ واحد منهم وتسميه بعض الروايات العربية « بسيف بن ذي يزن » الى امبراطور بيزنطة يطالبه ببذل جهوده مع احلافه الاحباش لاعادة النظام القديم غير ان امبراطور بيزنطة يصرفه صرفا جميلا حتى لا يعوق مصالح حلفائه الاحباش في بلاد اليمن . ومن هنا يلتجيء « سيف » الى امبراطور فارس العدو الطبيعي لبيزنطة فينجده هذا بجيش يستطيع به سيف أن يعود عام ٥٦٨ حاكما صوريا على رقعة من اليمن تحرسه حراب أسياده الجدد الذين اطلق عليهم المؤرخون العرب لفظة (الابناء) ، لكن هذه الحراب ـــ كما تذهب الروايات العربية لم تنقذه من انتقام الاحباش فخر صريعا بأيدي عبيده من أبناء الحبشة . وبقتله ـــ كما يقول ابن خلدون ـــ آل ملك العرب وسلطان حمير الى الفرس « بعد أن كانوا يزاحمونهم بالمناكب في عراقهم ، ولم يبق للعرب في الملك رسم ولا طلل الا اقيال من حمير

وقحطان رؤساء في احيائهم بالبدو ولا تعرف لهم طاعة ولا ينفذ لهم في غير ذاتهم امـــر » (٤١) .

وهذه رواية من الروايات الكثيرة المتضاربة حول هذا الموضوع . على انه يمكننا القول أنه في وسط هذه الاوضاع غير المستقرة في بلاد اليمن ظهرت من بين رجالات القبائل اليمنية الثائرة شخصية « سيف بن ذي يزن » وهو واحد مـــن سلالة ملوك حمير (٤٢) وقد تم على يديه ـــ بمساعدة الفرس ـــ طرد الاحباش من اليمن وتحريرها من حكمهم في سنة ٥٧٦ ميلادية (٤٣) واعـــادة الحكم الى الحميريين في بداية الامر حتى استأثر الفرس نهائيا بحكم اليمن . وواضح أن روايات الاخباريين العرب حول الدور الذي قام به « سيف بن ذي يزن » لتحرير بلاده هو اشبه بالدراما الاسطورية . فهناك روايات تشير الى أن « سيف بن ذي يزن » ذهب الى قيصر الروم وطلب منه العون لطرد الاحباش من اليمن وان القيصر لم يجبه الى طلبه .

غير اننا نرى أن هذه الرواية لا تساير المنطق نظرا لانه من غير المعقول أن يكون « سيف بن ذي يزن » وهو من سلالة ملوك « حمير » لا يعرف مدى الصلة القوية التي تربط الاحباش بالروم الذين يشتركون معهم في العقيدة ، كما كان القيصر يعتبر الاحباش في اليمن وكلاء يحافظون على مصالح دولته الاقتصادية في بلاد الشرق . ولا شك أن « سيف بن ذي يزن » كان يخشى ايضا مجيء القوات البيزنطية الى اليمن ، اذ ما هي الفائدة التي كان سيجنيها اذا ما بدل احتـــلال الاحباش باحتلال الروم . ومن هنا فاننا نرجع استحالة ذهاب سيف بن ذي يزن الى قيصر الروم طالبا النجدة التي لم يكن بطبيعة الحال يتوقع مجيئها الى بلاده لطرد الاحباش مع وجود كل هذه الاعتبارات والصلات المختلفة بين الجـــانبين الحبشي والبيزنطي .

ومن ناحية اخرى فقد اشارت روايات الاخباريين العرب ايضا الى أن « سيف بن ذي يزن » ذهب الى ملك الحيرة « النعمان بن المنذر بن ماء السماء » ـــ وكانت الحيرة موالية للفرس ، وطلب منه أن يقدمه الى كسرى فارس « خسرو انو شيروان » في عاصمته « المدائن » وهو الذي حكم فارس بن الفترة الممتدة بين عامي ٥٣١ ـــ ٥٧٨ ميلادية (٤٤) . ويرجح بعض المفكرين أن « سيف بن ذي يزن » عندما غادر اليمن لطلب العون ، لم يكن يهدف الى طلبه من الروم أو من الفرس ، وانما اراده من ابناء وطنه من المهاجرين اليمنيين الذي كانوا في ذلك الحين قـــد كونوا امارتين عربيتين على حدود الدولتين الكبيرتين ، وكان ارتباطهم بهـــاتين الدولتين وراء رحلة سيف الى عاصمتي « بيزنطة » و « فارس » .

وعلى اية حال فان الحبكات الاسطورية تشتد وتعنف حيث تذكر الروايات ان كسرى فارس منح الدراهم « لسيف بن ذي يزن » عند مقابلته له .... وأن « سيف » أخذ يوزع تلك الدراهم على خدمه . فاعتبر « كسرى » هذا العمل من قبل « سيف » اهانة موجهة لهيبته ، فاستدعى « سيف » وسأله عن سبب قيامه بتوزيع الدراهم التي اعطاها اياه : فأجابه « سيف » بأنه لم يأت طلبا للمال ، فبلاده غنية بالذهب والفضة ، وانما سعى لطرد الاحباش الاجانب من بلاده . وهنا وافق كسرى فارس على طلب « سيف » وارسل معه ثماني سفن وحملها بثمانمائة من المهاجرين الفرس وبعض الجنود وعلى راسهم القائد الفارسي « وهرز » . وفي الطريق الى اليمن غرقت سفينتان بمائتين من ركابها ، بينما وصلت السفن الباقية الى السواحل اليمنية (٤٥) . وتنتهي هذه الروايات الى أن « وهرز » الفارسي تمكن من قتل « مسروق » الحبشي ، وبذلك انهار حكم الاحباش في اليمن وفروا منه عائدين الى بلادهم .

على اننا يمكننا أن نستخلص من هذه الروايات الاسطورية التي اوردها الاخباريون العرب — بعض الحقائق واهمها أن « سيف بن ذي يزن » قد استعان بالفرس لطرد الاحباش من اليمن نظرا لان الاحباش كانوا الحلفاء المخلصين لعدوتهم بيزنطة في ذلك الحين . وواضح أيضا أن المعونة الفارسية كانت محدودة، غير انها كانت مؤثرة نظرا لان ثورات القبائل اليمنية المستمرة كانت تفت في عضد الاحباش وتقلص من نفوذهم .

واننا نرجح أن استعانة « سيف » بالفرس تلك الاستعانة المحدودة كان يهدف من ورائها الى جمع شمل القبائل اليمنية الثائرة وتوحيد نضالها ضد العدو الحبشي الاجنبي . ولا شك أن القبائل اليمنية الاخرى والتي كانت بعيدة عن مسرح الاحداث حتى ذلك الحين وقفت الى جانب الثورة الوطنية عندما حظيت بدعم جديد من قبل الفرس لطرد الاحباش من اليمن . ولا يخفى أيضا أن مجيء القوات الفارسية الى اليمن قد رفع الروح المعنوية لدى رجال القبائل وزاد من ثورتهم اشتعالا ، كما أن ذلك قد أثر من ناحية اخرى في احباط الروح المعنوية للاحباش مما اضطرهم الى الفرار ناجين بأنفسهم .

ويرجح أن قبول « سيف بن ذي يزن » الاستعانة بقوات فارسية محدودة لمساندة القبائل اليمنية الثائرة واجتذاب القبائل اليمنية المتحفظة والبعيدة نسبيا عن مسرح الاحداث للوقوف في وجه الاحباش وطردهم من البلاد ، كان ذلك معبرا عن خشيته من مجيء قوات فارسية كبيرة تطمع في بلاده ، ومن ثم تقع اليمن تحت الاحتلال الاجنبي الفارسي بدلا من الاحتلال الاجنبي الحبشي ، الامر الذي كان يتحاشى « سيف » حدوثه بقدر طاقته (٤٦) .

ومن ناحيــة اخرى فانه مما لا شك فيــه ان كسرى فارس « خسرو انو شيروان » لم يقدم المعونة جزافا « لسيف بن ذي يزن » اكراما لشجاعته واعجابا لجراته كما تقول بعض الروايات التي اوردها الاخباريون (٤٧) ، بل انه قــام بذلك لصالح الامبراطورية الفارسية وحتى يضرب المصالح التجارية والنفــوذ البيزنطي في اليمن بطبيعة الحال . وبذلك يعيد فتح اليمن في وجه التجارة الفارسية املا في الحصول على مكاسب مادية من وراء الفتح كفرض جزيــة او اكتســاب غنيمة . وهكذا وجدت فارس في طلب « سيف بن ذي يزن » مؤازرة اليمنيين ضد الاحباش وسيلة للتوسع في بلاد العرب . ومن ثم فان بادية الشام في الشمــال وان حالت دون توسع القوى الكبرى في تلك الفترة من تاريخ شبه الجزيــرة العربية ، فقد اصبحت ارض الجنوب مدخلا لتلك الدول توصلها الى قلب جزيــرة العرب (٤٨) .

ويقع الكثيرون في خطأ فاحش عندما يتصورون أن الفرس هم الذين قاموا وحدهم بطرد الاحباش من اليمن ، اذ ان المنطق لا يقبل اطلاقا ان يتمكن عــدد محدود من رجال الفرس لا يتجاوز ستمائة مقاتل من القيام بتلك المهمة بأي حال من الاحوال . وان من يعتقدون في ذلك يتجاهلون الدور الكبير الذي لعبه رجال القبائل اليمنية الثائرة في طرد الاحباش من بلادهم .

ويمكننا ان نبرز تلك الحقيقة التاريخية وهي أن الثورة الوطنية التي قامت بها القبائل اليمنية ضد الاحباش هي التي لعبت الدور الاساسي والحاسم في تحرير اليمن من الحكم الحبشي الدخيل . وكل ما يمكن ان تكون قد فعلته تلك القوة الفارسية المحدودة هي انها اشعرت الاحباش بأن القبائل اليمنية سوف تتلقى دعما من الامبراطورية الفارسية المنافسة لبيزنطة والمعادية بطبيعة الحال للوجود الحبشي في اليمن الذي بدت خطورته بوجه خاص بعد ان شرع « أبرهة » فــي السيطرة على الحجاز وبقية الجزيرة العربية .

ولا شك ان هذا الدعم المحدود من قبل الفرس « لسيف بن ذي يزن » قد القى الرعب في قلوب الاحباش خاصة وانهم توقعوا وصول قوات فارسية أخرى مما جعلهم يفكرون في سرعة العودة الى بلادهم . ومن ناحية اخرى كان هذا الدعم الفارسي من شأنه أن شجع القبائل اليمنية المتحفظة للاشتراك مع القبائل الثائرة التي توقعت ان ترجح كفتها على كفة الاحباش اذا ما حملوا عليهم جميعا حملة شاملة وهو ما حدث بالفعل .

ومن هنا فانه بمجرد وصول « سيف بن ذي يزن » ومن معه من الفرس الى اليمن في سنة ٥٧٥ ميلادية فقد التفت من حوله قبائل اليمن وثوارها وزعماؤهــا وتمكنوا من تفتيت الجيش الحبشي والقضاء على معظم رجاله وطرد أعداد كبيرة

منهم الى خارج البلاد . اما من بقي منهم في اليمن فقد اصبحوا خدما لدى زعماء القبائل اليمنية (٤٩) . وهكذا تخلص اليمنيون من الحكم الحبشي الدخيل ، وانتهت بذلك حقبة مظلمة من تاريخ اليمن القديم (٥٠) .

وقد تردد صدى هذا النصر في سائر انحاء بلاد العرب وجاءت وفود من شتى أرجاء الجزيرة لتهنئة « سيف بن ذي يزن » والشعب اليمني بهذا النصر ، وتذكر بعض الروايات أن وفد مكة كان يراسه عبد المطلب ابن هاشم شيخ قريش وجد نبي الاسلام محمد بن عبد الله عليه صلوات الله وسلامه .

ويراودنا الان تساؤل عن طبيعة الاوضاع التي اعقبت طرد الاحباش من اليمن وعن موقف « سيف بن ذي يزن » ازاء القوة الفارسية التي صاحبته الى الاراضي اليمنية وعن مدى علاقته من الامبراطورية الفارسية التي أمدته بهذا الدعم . لقد أقام الفرس الى جانب « سيف بن ذي يزن » حاكما فارسيا من قبلهم يجمع الجزية ويراقب احوال البلاد . وكان « سيف » قد وافق على دفع جزية لكسرى فارس عرفانا بجميله ، ويرجح أن « سيف » كان يفكر في انهاء دفع تلك الجزية بعد استقرار الاوضاع في اليمن ، غير أن الوقت لم يسعفه لتحقيق ذلك، كما أن الظروف تطورت لصالح الفرس عقب مقتل « سيف بن ذي يزن » بأيدي خدمه الاحباش (٥١) في بعض الاراء ، وبتآمر الفرس عليه في آراء اخرى (٥٢) .

وقد خشي كسرى فارس على جزيته من الضياع عقب مقتل « سيف بن ذي يزن » وما نتج عن ذلك من اضطراب الاحوال في اليمن ، كما خشي ايضا من أن يعود الاحباش الى الاراضي اليمني او أن تقوم الامبراطورية البيزنطية بالتعاون مع الحبشة للاستيلاء على اليمن . ولهذا قام كسرى فارس بارسال اربعة الاف مقاتل فارسي تمكنوا من تحويل اليمن الى ولاية فارسية .

وقد تولى ولاية اليمن من قبل فارس القائد الفارسي « وهرز » وخلفه في حكم البلاد ولده « المرزبان » ثم تولى الحكم في اليمن من بعده «البينجان بن وهرز» الذي خلفه ابنه « خسرو بن البينجان » في حكم البلاد (٥٣) . واخيرا تولى حكم اليمن الوالي الفارسي « باذان » الذي اعتنق الاسلام في سنة ٦٢٨ ميلادية ، فأصبحت اليمن بذلك جزءا من الدولة الاسلامية الفتية ، وانفصلت نهائيا عن حكم فارس منذ ذلك الحين .

وقد سيطر الفرس على صنعاء واتخذوها عاصمة لهم (٥٤) ، كما امتد حكمهم الى عدن التي كانت تعتبر اهم مركز تجاري في اليمن . ونظرا لعدم توفر مصادر علمية توضح لنا حدود المنطقة اليمنية التي خضعت لحكم الفرس او « الابناء » كما سماهم بعض المؤرخين العرب فانه يتعذر علينا التكهن بذلك دون

سند علمي . وسوف اكتفي في هذا المجال بما ذكره الاستاذ الدكتور جعفر ظفاري في مقاله الذي سبق أن نوهت اليه وجاء فيه : « واذا ضن ما توافر لدينا من مصادر بحقائق قد تساعدنا على تتبع مناطق نفوذ الحكم الفارسي في اليمن ، فاني أجد نفسي ميالا الى القول بأن الابناء حكموا انصاف رقعة معينة من ارض التهائم منها على ما اظن ، وادي الحشيب الذي اختطت في مدينة زبيد عام ٢٠٣ لتصبح قاعدة الحكم لاشهر الدول اليمنية حتى زوال الدولة الطاهرية في النصف الاول من القرن العاشر الهجري . وقد حملني هذا الراي ما اخاله المسلك الطبيعي لقوافل التجارة (عدن ــ الجند ــ صنعاء ــ وعدن ــ حباشة ــ الجند ــ صنعاء) فضلا عما يورده الخزرجي (ت ٨١٢ هـ ــ ١٤٠٩م) من اشارات متكررة الى تواجد الفرس في بعض المناطق التهامية وخاصة مرتفعات زبيد ، وتمردهم اكثر من مرة على السلطة الممثلة آنذاك بالدولة الرسولية (٦٢٥ ــ ٨٥٠هـ و ١٢٢٨ ــ ١٤١٦م) » .

ويرى بعض الباحثين أن الديانتين اليهودية والمسيحية كانتا بمثابة ايديولوجيتين جديدتين اعتنقهما اليمنيون بعد أن تعرضت العقائد الوثنية القديمة في اليمن لازمات متتالية نتيجة لتفسخ الاوضاع المادية المرتبطة بهذه العقائد والقائمة على ركامها ، بحيث لم يعد بمقدور هذه الاوضاع القديمة مواكبة الحياة الجديدة أو الاستجابة لمطالبها وتطلعاتها . وعندما وصل الاسلام الى الساحة اليمنية في سنة ٦٢٨ ميلادية لم يعد موجودا في اليمن من الثقافة القديمة ما هو جدير بالبقاء او الاستمرار في ظل الحياة والقيم الجديدة المتكاملة التي اتى بها الإسلام (٥٥) بكل محتواه التقدمي في هذا العصر المبكر.

ومن الملاحظ ان معالم كثيرة من ايجابيات ثقافة اليمن القديم وحضارته العريقة قد عايشت الحياة الجديدة التي ادخلها الاسلام الى اليمن لانها لم تتعارض معها (٥٦) مما يؤكد وجود ايجابيات كثيرة في ثقافة اليمنيين القديمة تواكبت مع التطور الجديد . ولا شك ان هذه الايجابيات قد شكلت رصيدا طيبا في خبرات اليمنيين وتجاربهم اهلتهم لان يقدموا مساهمة مشهودة في تطوير الحياة الجديدة في ظل الاسلام سواء في بلادهم او في المناطق التي انتقلوا اليها في أرجاء العالم العربي والاسلامي (٥٧) .

• • • •

الهـــوامش

١ — محمد عبد القادر بافقيه . **تاريخ اليمن القديم** . ص ٨٢ .

٢ — Strabo. **The Geography of Strabo.** IV, pp. 22-25.

٣ — Lesquier. **L'Armee Romaine d' Egypte.** p. 9.

٤ — Cambridge Ancient History, X 1934 Anderson, p. 250.

٥ — Pliny. **Natural History, II.** p. 467.

٦ — د. محمد بيومي مهران . **دراسات في تاريخ العرب القديم** . ص ٢٩٦ .

٧ — Jamme, A. **Sabaean Inscriptions from Mahram Bilgis** (Marib). pp. 317, 319.

٨ — محمد عبد القادر بافقيه . **المرجع السابق** . ص ٨٤ — ٨٥ .

٩ — Strabo, III. **Op. Cit.** pp. 189, 190, 213.

١٠ — جورج فضلو حوراني . **العرب والملاحة في المحيط الهندي** . ص ٣٢ .

١١ — أحمد فضل العبدلي . **هدية الزمن في اخبار ملوك لحج وعدن** . ص ١٧ .

١٢ — **Cambridge Ancient History. XII** 1939, pp. 9, 16.

١٣ — Charlesworth, M.P. "The Periplus" **Maris Erythrael, Class,** Quart. 22. pp. 92, 100.

١٤ — انظر البحث الذي القاه الاستاذ « دريفز » استاذ اللغات السامية الهولندي في ندوة الحضارة اليمنية التي عقدت في عدن في الفترة من ٢٢ — ٢٧ فبراير ١٩٧٥ بعنوان « نقوش سبئية من الحبشة » والمحفوظ بالمركز اليمني للابحاث الثقافية بعدن . فقد اشار في هذا البحث الى انه توجد وثائق تبين أن السبئيين أقاموا بالفعل في الحبشة وانـه كان هناك تأثير ثقـافي قوي للسبئيين خلال فترة نؤرخها الان بوقوعها بين عامي ٤٥٠ و ٣٠٠ قبل الميلاد . وقد تركت اللغة السبئية اثارا واضحة في لغة الحبشة القديمة على نحو ما أكده « دريفز » في بحثه المشار اليه .

١٥ — انظر البحث الذي كتبه الاستاذ الدكتور جعفر ظفاري بعنوان « دراسات في المجتمـع اليمني القديم » (عقدة اللون الاسود ومسألة الوجود الفارسي في اليمن بعد الاسلام) والمنشور بعدد مارس ١٩٧٤ بمجلة الثقافة الجديدة التي تصدر بعدن . وقد اشار في هوامش هذا البحث الى أهمية الرجوع الى الفصول المستفيضة التي كتبها المؤرخ الاستاذ الدكتور جواد علي في كتابه « تاريخ العرب قبل الاسلام » فيما يخص الصراع الدولي على مجاري التجارة ومحاولة اباطرة الرومان تطويق الجزيرة برا وبحرا ، وتحريض الاحباش لاحتلال جنوب الجزيرة .

١٦ — « الشهداء الحميريون العرب في الوثائق السريانية » **المجلة البطريركية** ، دمشـــق ١٩٦٦ ، لاغناطيوس يعقوب الثالث ، ص ٢٤ .

١٧ — الطبري . **تاريخ الرسل والملوك** . الجزء الثاني ، ص ١٢١ .

١٨ — ابن الاثير . **الكامل في التاريخ** . الجزء الاول ، ص ٤٣٠ — ٤٣٢ .

١٩ — **المجلة البطريركية** . المرجع السابق . ص ٢٤ .

٢٠ — **المجلة البطريركية** . نفس المرجع ، ص ٨٩ .

٢١ — **المجلة البطريركية** . نفس المرجع ، ص ١١٦ ، ١١٧ .

٢٢ — الطبري . **المرجع السابق** . الجزء الثاني ، ص ١٠٥ .

— ياقوت الحموي . معجم البلدان . المجلد ٨ ، ص ٢٦٢ .

٢٣ — جواد علي . تاريخ العرب قبل الاسلام . الجزء الثالث ، ص ٤٧٥ .

٢٤ — الطبري . المرجع السابق . الجزء الثاني ، ص ١٢٧ .

٢٥ — د. جواد علي . المرجع السابق . الجزء الثالث ، ص ٤٦٠ .

٢٦ — عبد المجيد عابدين . بين الحبشة والعرب . ص ٥١ .

٢٧ — Von Kremer. **Sudarabische Sage.** pp. 22, 127.

٢٨ — **المجلة البطريركية** . المصدر السابق ، ص ١١٧ .

٢٩ — عبد المجيد عابدين . **المرجع السابق** . ص ٤٥ .

٣٠ — محمد عبد الكريم عكاشة . « مقاومة الغزو الحبشي لليمن » ، **مجلة الثقافة الجديدة** . عدن ، العدد الخامس ، لسنة ١٩٧١م ، ونقلا عن مجلة **الشرارة التربوية** ، بالمكلا .

٣١ — د. جواد علي . **المرجع السابق** . ص ٤٧٢ .

٣٢ — د. جواد علي . **نفس المرجع** . ص ٢٧٥ .

٣٣ — محمد عبد القادر بافقيه . **المرجع السابق** . ص ١٦٧ — ١٧١ ، راجع ترجمة النقوش التي اوردها المؤلف .

٣٤ — ابن خلدون . **العبر وديوان المبتدا والخبر** . المجلد الثاني ، ص ١١٥ .

٣٥ — الهمداني . **الاكليـل** . الجزء الثاني ، ص ٨٧ .

الطبري . **المرجع السابق** . الجزء الثاني ، ص ١٣٠ .

٣٦ — محمد عبد القادر بافقيه . **المرجع السابق** . ص ١٦٨ .

٣٧ — د. جواد علي . **المرجع السابق** . الجزء الثالث ، ص ٤٩٥ .

٣٨ — ابن الاثير . **المرجع السابق** . الجزء الاول ، ص ٤٤٢ .

٣٩ — الطبري . **المرجع السابق** . الجزء الثاني ، ص ١٣٠ — ١٣١ .

٤٠ — انظر تفسير جزء عم من القرآن الكريم (سورة الفيل) للشيخ محمد عبده .

٤١ — ابن خلدون . **المرجع السابق** . المجلد الثاني ، ص ١٢٥ .

٤٢ — يذكر الدكتور عبد المجيد عابدين في كتابه « بين الحبشة والعرب » « وكان سيف بن ذي يزن ممن لعبوا ادوارا هامة في هذه الاونة ، وهو رجل من أذواء حمير من أسرة عريقة في اليمن سمعنا عن بعض افرادها منذ عهد ذي نواس وابرهة ، وكان للاسرة اتجاه سياسي واحد هو التمسك باستقلال اليمن وانفصالها عن السلطان الاجنبي » .

٤٣ — يشير الاستاذ فاروق خورشيد في كتابه « أضواء على السيرة الشعبية » الى أن الاحباش قد طردوا « نهائيا من بلاد اليمن على يد الملك اليمني الحميري سيف بن ذي يزن في رواية اسحاق أو معدى كرب بن ذي يزن في رواية الكلبي » .

٤٤ — ابن الاثير . **المرجع السابق** . الجزء الاول ، ص ٤٣٣ .

٤٥ — الطبري . **المرجع السابق** . الجزء الثاني ، ص ١٣٠ .

٤٦ — جاء في قصيدة للشاعر اليمني الدكتور محمد عبده غانم بعض الابيات التي تمجد دور سيف بن ذي يزن :

فالنصر من حق الضعيف اذا غدا | متسلحـــا بالصبـــر والايمـــان
قد آن أن يحمي حماها سيـــد | مـــن حمـــير الغـــرا أو كهـــلان
يـــا سيف ذي يزن قـــد أبليت في | طلب الخـــلاص لهـــذه الاوطـــان

٤٧ ـ ابن الاثير . **المرجع السابق** . الجزء الاول ، ص ٤٤٨ .
الطبري . **المرجع السابق** . الجزء الثاني ، ص ١٤٣ .

٤٨ ـ Hitti, P.K. **History of the Arabs.** p. 66.

٤٩ ـ د. جواد علي . **المرجع السابق** . الجزء الثالث ، ص ٥٢١ ـ ٥٢٣ .

٥٠ ـ يشير د. عبد العزيز المقالح الى قضية تقييم شخصية « سيف بن ذي يزن » بقوله « أنه قد أخطأ في الاستعانة الخارجية ، أو تمادى في الانتقام من خصوم بلاده أو أسرفت كتب التاريخ في تضخيم دوره فهذه قضايا قابلة للحوار ، واثارتها من حين لاخر يعتبر واجبا وطنيا على المثقفين أن يقوموا به من أجل الوطن والانسان ، ومن أجل الحاضر والتاريخ » انظر عدد يوليو ، اغسطس ١٩٧٥م من مجلة الثقافة الجديدة التي تصدر بعدن .

٥١ ـ الطبري . **المرجع السابق** . الجزء الاول ، ص ١٤٨ .

٥٢ ـ محمد عبد القادر بافقيه . **تاريخ اليمن القديم** . ص ١٧١ ـ ١٧٢ أشار المؤلف الى أن الروايات تختلف في سيرة سيف بن ذي يزن وفي بواعث ثورته وما جرى له بعد أن تمت هزيمته للاحباش . وقد اختلطت الحقيقة بالاسطورة في حياة ذلك البطل الوطني . وفيما يتعلق بالحرب فان الروايات تتلخص في أن « سيفا » قصد الروم بادىء الامر لينصروه على الاحباش فلما خاب أمله فيهم لجأ الى الفرس فأمده كسرى بقوة تحت قيادة « وهرز » حملتها السفن ونزلت لساحل حضرموت في موضع يدعى « مثوب » . ثم زحفت من هناك الى أن التقى الجيشان وقتل « مسروق » وتشتت الاحباش فأثبت الفرس « سيفا » ملكا على اليمن وفرضوا عليه جزية وخراجا معلوما يؤديه كل عام . وقفل « وهرز » عائدا الى كسرى » . ولكن من بقي من الاحباش في اليمـــن ـ كما تقول الروايات ـ وثبوا على « سيف » وقتلوه غيلة . ولما بلغت الاخبار كسرى بعث « وهرز » على رأس قوة فارسية جديدة قضت على التمرد الحبشي وبقيت اليمن بعد ذلك في قبضة الفرس يحكمها ولاة منهم حتى مجيء الاسلام . وكان اخرهم هو « باذان » الذي أســـلم وأقره الرسول عاملا على اليمن تحت راية الاسلام .

٥٣ ـ الطبري . **المرجع السابق** . الجزء الاول ، ص ١٤٨ .

٥٤ ـ Gibbon, E. **The Decline and Fall of the Roman Empire.** p. 216.

٥٥ ـ سلطان ناجي . **محاضرات في تاريخ اليمن القديم** . ص ٤٦ .

٥٦ ـ انظر البحث الذي ألقاه الاستاذ الدكتور محمود الغول في ندوة الحضارة اليمنية التي عقدت بعدن في فبراير ١٩٧٥م بعنوان «مكانة لغتنقوش اليمن القديمة فيتراث اللغة العربية الفصحى».

٥٧ ـ انظر البحث الذي ألقاه الاستاذ الدكتور هاشم جميتي في ندوة الحضارة اليمنية التي عقدت بعدن في فبراير ١٩٧٥م بعنوان « دور اليمنيين في التاريخ الاسلامي » وانظر كذلك البحث الذي ألقاه الاستاذ ميخائيل بترونسكي الباحث في معهد الاستشراق بليننجراد في الندوة المذكورة بعنوان « التراث اليمني القديم في الحضارة الاسلامية » ، وجميع بحوث هذه الندوة محفوظة بالمركز اليمني للابحاث الثقافية بعدن .

المراجع

اولا : مراجع البحث باللغة العربية

١ ـ المؤلفات المنشورة

- ابن الاثير (عز الدين أبو الحسن علي الشيباني) . **الكامل في التاريخ** . الجزء الاول ، بيروت ، ١٩٦٥ .
- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) . **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر** . المجلد الثاني ، بيروت ، ١٩٥٦ .
- الهمداني (أبو محمد الحسن بن احمد بن يعقوب) . **الاكليل** . الجزء الثاني ، تحقيق محمد بن علي الاكوع ، القاهرة ، ١٩٦٧ .
- د. احمد فخري . **دراسات في تاريخ الشرق القديم** . الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٦٣ .
- احمد فضل العبدلي . **هدية الزمن في اخبار ملوك لحج وعدن** . المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٥١ هـ .
- د. جواد علي . **المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام** . (عشرة اجزاء)، بيروت، ١٩٦٨—١٩٧١ .
- جورج فضلو حوراني . **العرب والملاحة في المحيط الهندي** . ترجمه وزاد عليه الدكتور السيد يعقوب بكر ، القاهرة ، ١٩٥٨ .
- سبتينو موسكاتي. **الحضارات السامية القديمة**. ترجمة الدكتور يعقوب بكر، القاهرة، ١٩٦٨ .
- الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير) . **تاريخ الرسل والملوك** . دار المعارف ، القاهرة .
- عبد المجيد عابدين . **بين الحبشة والعرب** . دار الفكر العربي بالقاهرة ، ١٩٤٧ .
- فاروق خورشيد . **اضواء على السيرة الشعبية** . القاهرة .
- د. فرتزهومل . **التاريخ العام لبلاد العرب الجنوبية** . الفصل الثاني من كتاب تاريخ العرب القديم ، ترجمة الدكتور فؤاد حسنين علي ، القاهرة ، ١٩٥٨ .
- فيليب حتى . **تاريخ العرب** . الجزء الاول ، ترجمة ادوارد جورجي وجبرائيل جبور ، بيروت ، ١٩٦٥ .
- د. ويس رودوكاناكس . **الحياة العامة للدول العربية الجنوبية** . الفصل الثالث من كتاب تاريخ العرب القديم ، ترجمة الدكتور فؤاد حسنين علي ، القاهرة ، ١٩٥٨ .
- د. محمد بيومي مهران . **دراسات في تاريخ العرب القديم** . الرياض ، ١٩٧٧ .
- محمد عبد القادر بافقيه . **تاريخ اليمن القديم** . المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت .
- الشيخ محمد عبده . **تفسير جزء عم من القرآن الكريم** .
- د. محمد عبدكم غانم . **سيف بن ذي يزن** .
- وندل فيلبس . **كنوز مدينة بلقيس** . ترجمة عمر الديرادي ، بيروت ، ١٩٦١ .
- ياقوت الحموي . **معجم البلدان** . دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٩٥٧ .

٢ ــ البحوث غير المنشورة

- د. دريفز . « نقوش سبئية من الحبشة » **الندوة العلمية للحضارة اليمنية** ، عدن ، ١٩٧٥ .
- سلطان ناجي . محاضرات في تاريخ اليمن القديم ، كلية التربية العليا بجامعة عدن ، ١٩٧٣ .
- د. محمود الغول . « مكانة لغة نقوش اليمن القديمة في تراث اللغة العربية الفصحى » **الندوة العلمية للحضارة اليمنية** ، عدن ، ١٩٧٥ .
- ميخائيل بتروفسكي . « التراث اليمني القديم في الحضارة الاسلامية » **الندوة العلمية للحضارة اليمنية** ، عدن ، ١٩٧٥ .
- د. هاشم جعبتي . « دور اليمنيين في التاريخ الاسلامي » **الندوة العلمية للحضارة اليمنية** ، عدن ، ١٩٧٥ .
- جميع بحوث الندوة العلمية للحضارة اليمنية بعدن عام ١٩٧٥ محفوظة حاليا بمكتبة المركز اليمني للابحاث الثقافية ، كريتر ، عدن ، جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية .

٣ ــ الدوريات

- أغناطيوس يعقوب الثالث . « الشهداء الحميريون العرب في الوثائق السريانية » ، **المجلة البطريركية** ، دمشق ، ١٩٦٦ .
- د. جعفر ظفاري . « دراسات في تاريخ المجتمع اليمني القديم » ، **مجلة الثقافة الجديدة** ، عدن ، مارس ١٩٧٤ .
- محمد عبد الكريم عكاشة . « مقاومة الغزو الحبشي لليمن » ، **مجلة الثقافة الجديدة** ، العدد الخامس ، عدن ، ١٩٧١ .

ثانيا : مراجع البحث باللغات الاجنبية

- Cambridge Ancient History, X (1934), XII (1939).
- Charlesworth, M.P. **The Periplus Maris** Erythrael, Class Quart, 22, (1928).
- Gibbon, E. **The Decline and Fall of the Roman Empire.** London. 1950.
- Herodotus: **The Histories.** (Pinguin Classica) London. 1960.
- Jamme, A. **Sabaean Inscriptions from Mahram Bilgis - Marib.**
- Lesquier. **L' Armee Romaine d' Egypte.**
- Pliny. **Natural History.** trans, by M. Rackham, London. 1954 - 7.
- Strabo. **The Geography of Strabo.**
- Von Kremer. **Sudarabische Sage.**